

مخاطر عالية على الأرض المرتفعة:

مرتفعات الجولان، لعبة محصلتها صفر للهيمنة الإقليمية

المصدر: مركز الشرق الأدنى وجنوب آسيا للدراسات الاستراتيجية التابع لقيادة الجيش الأمريكي

المقدمة

تعتبر هضبة الجولان، التي تمتد على مساحة 460 ميلاً مربعاً (1,200 كيلومتر مربع) وتتميز بتضاريسها الجبلية، هضبة ذات أهمية استراتيجية حيوية، وقد استولت عليها إسرائيل من سوريا خلال حرب الأيام الستة عام 1967. على الرغم من محاولة سوريا استعادة السيطرة على الأراضي في الصراع عام 1973، إلا أن إسرائيل استمرت في السيطرة عليها وضمتها بشكل أحادي في عام 1981. ومع ذلك، فإن هذا الضم يفتقر إلى الاعتراف الدولي، حيث تواصل سوريا المطالبة بإعادة الأراضي. منذ وقف إطلاق النار عام 1974 بين إسرائيل وسوريا ونشر قوات الأمم المتحدة، ظلت هضبة الجولان مستقرة نسبياً. ومع ذلك، لم تتراجع أهمية الجولان الاستراتيجية، وقد جذبت مؤخراً اهتماماً متجدداً من قبل العديد من الجهات. وقد تم التأكيد على أهمية المنطقة من خلال الأنشطة العسكرية الأخيرة وظهور احتمال نشوب صراع شامل بعد التوغلات الأخيرة لقوات الدفاع الإسرائيلية (IDF) في لبنان.

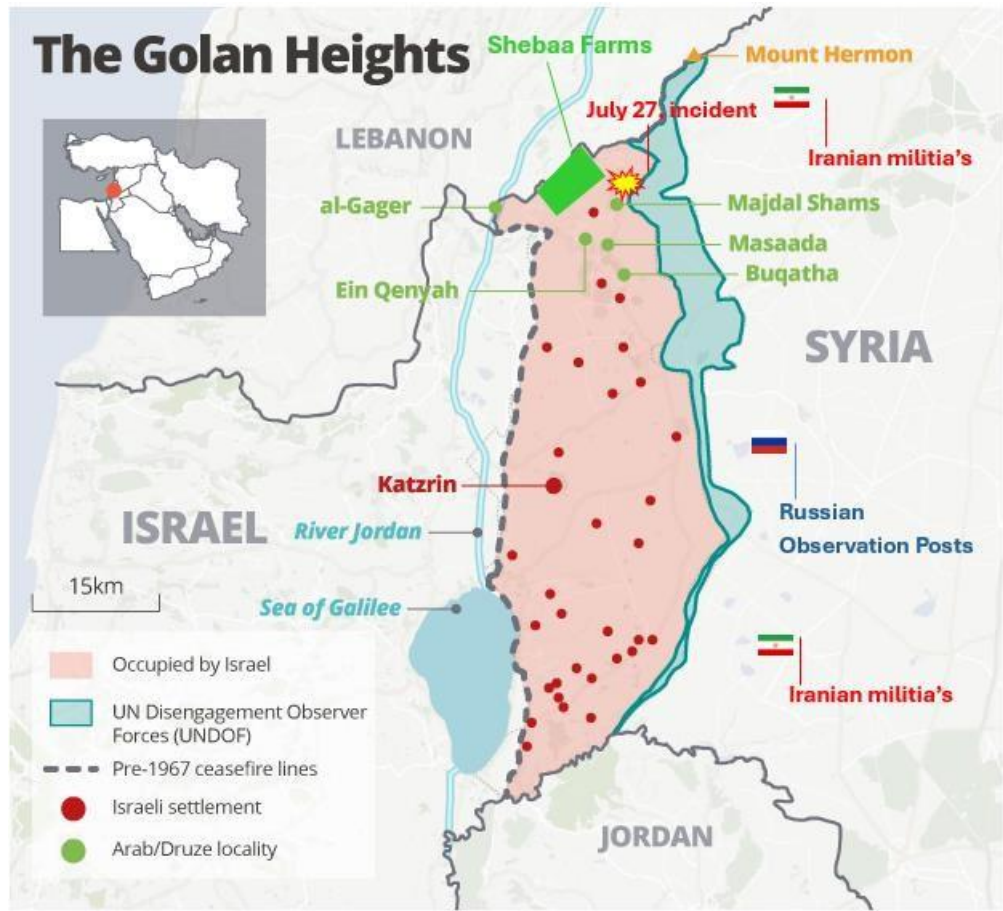
هضبة الجولان

تقدم هضبة الجولان مزايا كبيرة للمحتل بفضل موقعها المرتفع. فهي توفر رؤية لأجزاء من سوريا وإسرائيل ولبنان والأردن، مما يجعلها نقطة مراقبة ممتازة. كما تتيح الفرص للمراقبة والرصد ومواقع المدفعية الهجومية. وتخلق هضبة الجولان أيضاً حاجزاً طبيعياً يسمح بتأسيس مواقع دفاعية. تحتوي هضبة الجولان على تربة زراعية خصبة، وهي مصدر حيوي للمياه في المنطقة. فالمياه من الجولان تتدفق إلى بحيرة طبريا ونهر الأردن، وتساهم في إمدادات المياه في المنطقة حيث المياه نادرة.

قبل حرب الأيام الستة عام 1967، كان يُقدَّر عدد سكان هضبة الجولان بين 90,000 و148,000 شخص، مع كون الغالبية من العرب السوريين. كان عدد السكان موزع على العديد من المستوطنات والمزارع في جميع أنحاء المنطقة. خلال الحرب وبعدها مباشرة، فرّ أو تم تهجير الغالبية العظمى من السوريين من الهضبة، مما أدى إلى تغيير ديموغرافي كبير. أظهر إحصاء أجرته إسرائيل بعد حوالي شهرين من استيلائها على هضبة الجولان أن نسبة صغيرة فقط من السكان الأصليين بقيت، وكانت الغالبية من الدروز، مما حولهم من مجموعة أقلية إلى الغالبية السكانية في هضبة الجولان التي تسيطر عليها إسرائيل.

بعد ضم هضبة الجولان في عام 1981، عرضت إسرائيل على مجتمع الدروز خيار الحصول على الجنسية، رغم أن معظمهم رفضوا واستمروا في التعريف عن أنفسهم كسوريين. حالياً، يعيش حوالي 50,000 شخص في الجولان، حيث يشكل المستوطنون اليهود نحو نصفهم، بينما يشكل الدروز النصف الآخر، بالإضافة إلى أقلية صغيرة من العلويين. على الرغم من

ضم إسرائيل للمنطقة والجهود اللاحقة لتغيير المشهد الديموغرافي لهضبة الجولان، لا يزال هناك عدد كبير من السكان الدروز في المنطقة يُعرفون أنفسهم كسوريين.



الشكل 1: الوضع الحالي لهضبة الجولان

المصدر: المكتب المركزي للإحصاء، دراسة مركز بيو للأبحاث 2016، UNDOF.org. تم التعديل بواسطة الكاتب. تظهر المواقع الروسية والإيرانية لأغراض توضيحية.

وجهات النظر والمواقف

سوريا

تهدف سوريا إلى استعادة هضبة الجولان من خلال اتفاق سلام. في عام 2003، أعرب الرئيس بشار الأسد عن استعداده لاستئناف محادثات السلام مع إسرائيل، التي كانت قد اعتبرت سابقاً إعادة الأراضي مقابل السلام (المحادثات التي تمت برعاية الولايات المتحدة بين 1999-2000 عندما عرض رئيس الوزراء إيهود باراك إعادة معظم الجولان). تشمل نقاط الاحتكاك

الرئيسية مطالب سوريا بالانسحاب الإسرائيلي الكامل إلى حدود ما قبل عام 1967، مما سيمنح سوريا السيطرة على الشاطئ الشرقي لبحيرة طبريا (مصدر المياه العذبة المهم لإسرائيل)، وتفكيك المستوطنات الإسرائيلية في الجولان. استعادة هضبة الجولان تمثل مسألة فخر وطني وسلامة إقليمية، وهي هدف طويل الأمد لسوريا. لقد كانت النزاعات حول هذه الأراضي عقبة كبيرة أمام تحقيق اتفاق سلام مع إسرائيل. على الرغم من ذلك، فإن سوريا في وضع لا يسمح لها بالدخول في صراع بسبب الوضع الداخلي الصعب في البلاد. من المحتمل أن يعطى الأسد الأولوية للاستقرار الداخلي والانتعاش الاقتصادي على أي مواجهة عسكرية مع إسرائيل.

إسرائيل

تمثل هضبة الجولان أهمية سياسية ورمزية هائلة لإسرائيل في سياق العلاقات العربية الإسرائيلية على مر التاريخ. حافظت إسرائيل على قبضتها على هذه الأراضي لأكثر من خمسة عقود. يُنظر إلى هذه المنطقة من قبل العديد من الإسرائيليين على أنها جزء لا يتجزأ من الدولة اليهودية، وتعد "تذكارة للحرب"، يرمز إلى صمود إسرائيل وانتصاراتها الاستراتيجية. تنعكس هذه المشاعر في المعارضة العامة القوية لأي انسحاب من الجولان. بينما لعبت هضبة الجولان دورًا استراتيجيًا في الموقف الدفاعي العام لإسرائيل، فقد كانت المعارك والمواجهات الرئيسية خلال حرب 2006 بين إسرائيل ولبنان تحدث على طول الحدود الإسرائيلية اللبنانية بدلاً من منطقة الجولان. تعتبر إسرائيل قرب إيران وحزب الله من حدودها تهديدًا كبيرًا، حيث عززت إيران وحزب الله وجودهما في سوريا بدعمها لنظام الأسد خلال الحرب الأهلية المستمرة. ترى إسرائيل أن هضبة الجولان أساسية في منع إيران من إقامة جبهة إضافية في جنوب سوريا وربما ربطها بالجبهة في جنوب لبنان عبر حزب الله. لذلك، تُعتبر هضبة الجولان منطقة عازلة حيوية لأمنها.

لبنان

يعقد وجود حزب الله في السياسة اللبنانية الموقف الرسمي للبلاد، حيث كان حزب الله متورطاً في صراعات تتعلق بهضبة الجولان. لذلك، عادة ما تمتنع الحكومة اللبنانية عن التعليق على الضربات ضد إسرائيل أو هضبة الجولان المحتلة. يبرر حزب الله تسليحه وهجماته على إسرائيل في منطقة الجولان بسبب الاحتلال الإسرائيلي لمزارع شبعا، التي يدعي أنها أراضي لبنانية تاريخياً. يمكن لحزب الله استهداف هضبة الجولان بسهولة، بما في ذلك منطقة مزارع شبعا المتنازع عليها. ومع ذلك، حتى إذا تمكن لبنان من السيطرة على مزارع شبعا، ستظل عدائية حزب الله تجاه إسرائيل قائمة. مرتبطاً بإيران، يسعى حزب الله إلى تدمير إسرائيل، وسيجد مبررات أخرى لمواصلة عدوانه بغض النظر عن النزاعات الإقليمية.

الأردن

يتماشى موقف الأردن مع موقف معظم الدول في العالم، حيث يؤكد أن هضبة الجولان هي أرض سورية تحت الاحتلال.

إيران

تحافظ إيران على تحالفها مع سوريا لضمان قدرتها على العمل داخل الأراضي السورية، لأسباب استراتيجية وجيوسياسية. على الرغم من أن إيران لا تملك القدرة العسكرية المباشرة للضغط على هضبة الجولان، إلا أنها تستخدم وكلاءها مثل حزب الله في لبنان ومجموعة من الميليشيات في سوريا. تعتبر هذه الاستراتيجية جزءًا من خطة إيران الأوسع لتقويض نفوذ إسرائيل في المنطقة دون الدخول في مواجهة مباشرة، وهو ما تسعى إيران لتجنبه بسبب القوة العسكرية المتفوقة لإسرائيل والدعم الأمريكي لها.

الولايات المتحدة

في مارس 2019، وقع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو والرئيس الأمريكي آنذاك دونالد ترامب إعلانًا يعترف بسيادة إسرائيل على هضبة الجولان. في يونيو 2021، أكدت إدارة بايدن أنها ستلتزم بسياسة الإدارة السابقة في الاعتراف بسيادة إسرائيل على هضبة الجولان. ساهم اعتراف الإدارة الأمريكية بضم إسرائيل لهضبة الجولان في عام 2019 في تعزيز صورة الولايات المتحدة كمن تطبق "معايير مزدوجة"، مما يبدو متناقضًا مع التركيز التقليدي للولايات المتحدة على احترام القانون الدولي وتعزيز نظام قائم على القواعد.

روسيا

بعد سحب قواتها في عام 2018، أعادت روسيا Establish air patrols (في 2024) والعديد من نقاط المراقبة في منطقة الحدود السورية بالقرب من هضبة الجولان (في أواخر 2023). في سبتمبر 2023، اتهم وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف الولايات المتحدة بأنها "منافقة" في اعترافها بهضبة الجولان كجزء من إسرائيل السيادية. وقارن بين هضبة الجولان ومنطقة دونباس في أوكرانيا، مشيرًا إلى أن الولايات المتحدة لا تحترم السيادة القانونية لدول أعضاء الأمم المتحدة.

يسمح ضم إسرائيل لهضبة الجولان واعتراف الولايات المتحدة بذلك لروسيا بتطوير رواية تربط بين أفعالها في أوكرانيا وبين الوضع في الجولان. في ظل التغيير المتوقع في الإدارة الأمريكية، قد تستخدم روسيا قضية هضبة الجولان كوسيلة للتفاوض على موقفها في أوكرانيا.

في سياق حرب إسرائيل وحزب الله، يمكن أن تُعتبر الوجود المعزز لروسيا في منطقة الجولان رادعًا ضد التصعيد أو توفر قناة للتخفيف من التوترات. ومع ذلك، فإن ذلك يعقد الديناميات الإقليمية، مما قد يحد من حرية عمل إسرائيل في المنطقة بينما يعمل أيضًا كميزان ضد النفوذ الإيراني وأفعاله.

الأمم المتحدة

تمت معالجة نزاع هضبة الجولان بين سوريا وإسرائيل من خلال عدة قرارات رئيسية صادرة عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. أصدرت هذه القرارات تمهيداً لحل سلمي لقضية هضبة الجولان. كانت القرارات الأكثر أهمية قد أُعتمدت استجابةً لضم إسرائيل لهضبة الجولان من خلال قانون هضبة الجولان.

- القرار 350: أنشأ قوة الأمم المتحدة لمراقبة فض الاشتباك (UNDOF).
- القرار 497: أعلن أن فرض إسرائيل لقوانينها وولايتها وإدارتها في هضبة الجولان "باطل ولاغٍ وبدون أثر قانوني دولي".

تأسست قوة الأمم المتحدة لمراقبة فض الاشتباك "للحفاظ على وقف إطلاق النار بين إسرائيل وسوريا، ويشرف على فض الاشتباك بين القوات الإسرائيلية والسورية والإشراف على مناطق الفصل والحد من الأسلحة". تتألف قوة الأمم المتحدة لمراقبة فض الاشتباك من 1162 حفظة السلام، بما في ذلك الأفراد العسكريون من مختلف البلدان المساهمة بقوات. مثل التوترات المتزايدة بسبب الحرب الأهلية السورية المستمرة، وجود جماعات مسلحة وأنشطة عسكرية في المنطقة الفاصلة، وبعد 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023، واصلت القوة مهمتها المنوطة بها في بيئة تشغيلية صعبة تدهورت بسبب التوترات المتجددة في شمال إسرائيل وجنوب وشرق لبنان والجولان. ويبدو أن ولاية قوة الأمم المتحدة لمراقبة فض الاشتباك كانت فعالة في حفظ السلام بين إسرائيل وسوريا، ولكن من غير المرجح أن يتم تمكين القوة من منع أي عمل حركي تقوم به جهات مسلحة في مرتفعات الجولان.

التطورات الأخيرة

ذكرت تقارير متعددة بعد هجمات حماس على إسرائيل في 7 أكتوبر 2023، عن تحرك كمية كبيرة من قوات نظام الأسد والميليشيات الموالية لإيران إلى منطقة الجولان. تشير بعض التقارير إلى أن المجموعات المختلفة كانت تتسق هجمات على هضبة الجولان.

استهدفت معظم هجمات حزب الله منذ 7 أكتوبر شمال إسرائيل، مع عدد أقل من الضربات على هضبة الجولان حيث تمتلك إسرائيل العديد من المنشآت العسكرية. في 27 يوليو 2024، أسفر انفجار صاروخي في قرية درزية في الجولان عن مقتل 12 شخصاً. وفي 21 أغسطس 2024، أطلق حزب الله 50 صاروخاً ضربت عدداً من المنازل في منطقة الجولان.

الاستنتاج

لا تزال مرتفعات الجولان منطقة ذات أهمية استراتيجية في المشهد الجيوسياسي المعقد للشرق الأوسط. توفر تضاريسها المرتفعة مزايا عسكرية كبيرة، مما يجعلها رصيماً رئيسياً في ديناميكيات الأمن الإقليمي.

كان وضع الإقليم المتنازع عليه موضوع نقاش دولي وقرارات متعددة لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. على الرغم من قرارات الأمم المتحدة وتشهد نمو المستوطنات الإسرائيلية في

الجولان، فإن تنازل إسرائيل عن هذه الأراضي أمر غير مرجح اليوم، لأنه أمر حيوي لردع خصومها محليًا، وتقليل التهديدات الإقليمية. يخدم الوضع الإقليمي القائم في الغالب المصالح الاستراتيجية لإسرائيل، حيث يتوقف الحفاظ عليه على الحفاظ على التفوق العسكري لإسرائيل. لا تزال قدرة سوريا على تحدي هذا الوضع الراهن مقيدة دبلوماسيًا وعسكريًا. ومع ذلك، فإن تصعيد التوترات الإقليمية قد يدفع سوريا إلى إعادة تأكيد مطالبتها بالأراضي على المسرح الدولي، مما قد يدقق في موقف الولايات المتحدة بشأن هذه القضية.

قد يستنتج المرء أن مرتفعات الجولان تحت السيطرة الإسرائيلية تبدو مستقرة وآمنة نسبيًا. في حين أن مرتفعات الجولان تحظى حاليًا باهتمام دولي محدود، فإن التوسع المحتمل للصراع الإسرائيلي - حماس إلى حرب إقليمية أوسع يمكن أن يؤدي إلى إشعال التوترات في منطقة مرتفعات الجولان. مثل هذا التصعيد من شأنه أن يرفع المخاطر بشكل كبير لجميع الأطراف المعنية، مما يحول مرتفعات الجولان إلى نقطة اشتعال محتملة مرة أخرى.

التوصيات

للحفاظ على الاستقرار في هضبة الجولان ومنعها من أن تصبح جبهة جديدة في نزاع أوسع نطاقًا في الشرق الأوسط، يمكن أن تقوم مركز القيادة المركزية الأمريكية بتزويد إسرائيل بقدرات الاستخبارات، والمراقبة، والاستطلاع (ISR). هذه القدرات ضرورية لمراقبة أي تجمعات محتملة للمليشيات على طول الحدود السورية.

من المهم أيضًا الحفاظ على قنوات الاتصال المفتوحة مع روسيا نظرًا لتورطها في الشأن السوري، وذلك لمنع أي سوء فهم أو تصعيد غير مقصود. تعمل زيادة الوجود العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط حاليًا كوسيلة ردع ضد التهديدات المحتملة، وكذلك ضد تصعيد النزاع بين إسرائيل وغزة. هذا الوجود يساهم بشكل غير مباشر في الحفاظ على الاستقرار في هضبة الجولان، كما يُظهر التزام الولايات المتحدة تجاه حلفائها وشركائها في المنطقة. ومع ذلك، تظل استدامة هذه التعزيزات على المدى الطويل محل تساؤل. نظرًا للغموض المحيط بمفاوضات وقف إطلاق النار وفعالية أي اتفاق مستقبلي، ينبغي على القيادة المركزية الأمريكية وضع خطط طوارئ للانخراط لفترة طويلة في المنطقة.